



إسهامات المرأة الجزائرية في الجنوب الجزائري وأدوارها الإنسانية خلال الثورة

التحريرية (1954-1962)

The contributions of the Algerian woman In the south of Algeria and her human roles during the revolution of liberation (1954-1962)

د/ كركب عبد الحق

جامعة تيارت-الجزائر

الملخص:

إن كفاح المرأة الجزائرية ونضالها لم يقتصر على منطقة الشمال أو منطقة معينة بل غطت وشملت كل ولايات الوطن ومناطقه ونواحيه التاريخية، بل وكل شبر من أرض الجزائر، وكبقية مدن الجزائر كانت المرأة في الجنوب الجزائري في الموعد، ومنذ فترة الاحتلال الفرنسي وخلال ثورة التحرير (1830 إلى 1962) جرفت وكسحت في طريقها الثوري كل الجراح والمعوقات، وبشتى الطرق والوسائل التي أتاحتها لها الظروف، رغم البيئة الصحراوية ذات المناخ القاسي التي كانت تقيم فيه، فوزعت وغذت القاعدة الخلفية المآثرة لأخيها المجاهد.

ويعترف التاريخ وهو ممتن أن دور المرأة في الصحراء الجزائرية لم يقتصر مكوئها خلف الرجل كالرديف، بل سارعت مستميتة في خدمة الثورة بإرادة وحزم لأن تكون مسلبة وبتقصي مختلف المعلومات وتمحيصها، والمساهمة الفعالة فهي الحرفية والخياطة والمناضلة، والمجاهدة الجندية، والمرضة، احتكت مع الرجل ولم تستهن وتنكسر عزميتها رغم آلة التعذيب التي سلطت عليها وعلى نظيراتها، لم تكل أو تتراجع عن واجبها، بل زادها إصرارا، ولم تخن عهد الثورة رغم هزلة جسدها المثخن بجراح الزمن، والمقاوم للتكيل، إنها الأم الثورية التي حرصت الولد والزوج على الالتحاق بالجيش لخوض الاشتباكات والمعارك.

وتجلت مقاومة المرأة في الجنوب بمشاركته كمسلبة فقط وذلك كما أسلفنا الذكر نظرا لطبيعة المناطق الصحراوية ذات الطابع المكشوف وكذا الحالة المعيشية لسكان المنطقة،



وتدرجت عبر مسار الثورة وارتقت بنضجها إلى توليها مهام متعددة، فسارعت إلى طلب التكوين والتدريب على التمريض والإسعافات الأولية ومداواة المجاهدين والفدائيين المصابين، فكان حضورها قوي ضارب في مختلف المخطات، ومع النضج والخبرة اهتمت المرأة الصحراوية فغدت تجمع المؤن والاشتراكات وتقوم بالتمريض للدفع بالثورة لوجيستها وقدمنا نحو مواصلة الدفاع عن الحرية وتحقيق الاستقلال.

Abstract:

The struggle of the Algerian woman was not restricted only to the north or any other area. Yet, it covered and included all the country's Wilayas, regions and historical aspects. Like in all cities, the woman in the Algerian south was present. During the French occupation and the liberation war (1830 to 1962), she swept away all the wounds and obstacles from her path of revolution, despite the harsh environment where she allocated and fed the rear-supporting base of her mijahid brother.

History acknowledged that the role of the woman in the Algerian Sahara was not limited to stay behind the man as a reserve; she hastened to serve the revolution with will and determination to liberate by studying, investigating information, and with an effective contribution being a handworker, a tailor, a soldier and a nurse. She hustled with the man and didn't disdain or break, despite the torture inflicted on her. However, she didn't yield on her duties, but it made her more insistent, and she did not betray the revolution, despite the weakness of her body with the wounds of time, she's the revolutionary mother that incited the child and the husband to join the army to engage in clashes and battles.

The woman's resistance in the south manifested as self-sacrifice, due to the exposed nature of the desert areas, and to the life of the inhabitants of that area, she graded through the revolution course, and matured to take multiple duties, rushed to nursing training to help the injured fighters. Therefore, her presence was strong in various fields, and with this maturity and experience, she cared to collect supplies and nurse to push the revolution logistically and moved towards defending freedom and achieve independence.

مقدمة:

لم تكن المرأة الجزائرية عامة والمرأة في الجنوب خاصة في معزل عن أحداث الاستعمار أو ثورة التحرير، فكانت الدعامة الرئيسة المساندة لأخيها الرجل، فكانت الجرعة الثانية والنفس الجديد ضد فرنسا الاستعمارية، فاستطاعت أن تكسر الحصار الذي حاول الجيش الفرنسي تطويقه على المجاهدين، فكانت مساهمتها كبيرة في المدن والأرياف وفي صحرائنا الكبرى. فالمرأة المحاربة تحملت أعباء الثورة، وتناغمت أناملها مع أوتار الرشاش تارة، وتارة أخرى تحفز الستائر من دشمل وخنادق، وكنظيرتها في مدن الشمال تحملت واجبها الوطني فكانت السند القوي للمجاهدين كدرع ضد قمع البوليس والجيش الفرنسي واستخباراته.

فكان نشاطها ونضالها خلال الثورة التحريرية على عدة أوجه فكنّ مناضلات مهمتهن جمع المال، مسؤولات لجان إدارية، فدائيات (وضع القنابل في الأندية ومقاهي المستعمرين ودور السينما...) ومراقبة تحركات العدو والتبليغ عن الخونة، كما تحملت المرأة الريفية بالدرجة الأولى عبئ إطعام المجاهدين رغم خط الفقر المدقع، والتمريض، وتوفير اللباس...وهي صورة واضحة لرفض المرأة الذل والهوان، ومساهمة المرأة مباشرة في ثورة التحرير ، وعن مناطق الجنوب كان آذان الجهاد الثوري قد تغلغل في أذهان شرائح المجتمع ولباه الكائن الحي حتى الشجر والحجر لأن القضية الجزائرية قضية عادلة، بل وواجهت الموت شهيدة، مجاهدة، مشيدة لصرح وطن حر، إذن لم تتخاذل المرأة الجزائرية على العموم والمرأة الصحراوية على وجه الخصوص على نداء الثورة وتحملت مسؤوليتها كاملة اتجاه الوطن والتاريخ لتحمل لواء الأدوار الأساسية رغم سقوط مثيلائهن في ساحة الشرف، ورغم مناخ وطبيعة المنطقة الصحراوية.

وعبر مقالي هذا سأسلط الضوء عن جملة الإستفهامات المطروحة ومنها: ما هي خارطة الطريق الثورية للمرأة الجزائرية في اتصالها بالمجاهدين؟ ما هي أبرز مهام وأدوار المرأة في المجتمع الجزائري إبان الثورة التحريرية؟ وكيف ساهمت المرأة

الصحراوية في الجنوب الجزائري وشاركت وتفاعلت مع أحداث ومجريات الثورة الجزائرية ونجاحها؟.

الهدف من هذه الورقة البحثية هو رغبتنا للوقوف عند المساهمة الفعالة والأدوار الريادية والمهام النبيلة للمرأة الجزائرية عامة، والمرأة في منطقة الجنوب خاصة، وبالتالي التعرف على مساهمات المرأة الجزائرية وأدوارها النضالية التي سارقتها وعاشتها والأحداث متفاعلة معها قلبا وقالبا في إنجاح الثورة التحريرية الجزائرية ونصرتها. والإشادة بها في خدمة الرجل وصنع التاريخ، أما أهم النتائج المتوصل إليها أن المرأة الجزائرية والمرأة الصحراوية كسرت القيود ورفعت اللثام عن كاتم الصوت المفروض المكتم لأهات التحرر صارخة في وجه فرنسا بزنجرة مدوية شعارها "لا للقهـر" و"تحيا الجزائر"، ففجرت المرأة الصحراوية وكسحت في طريقها الثوري كل الجراح والمعوقات، وبشتى الطرق والوسائل التي أتاحتها لها الظروف، رغم البيئة الصحراوية ذات المناخ القاسي التي كانت تقيم فيه وتواجهها بأنوثتها ومرفولوجيتها المرفهة، وأماكن الاشتباك له الوقع المؤثر والإيجابي لترجيح كفة الممارك لصالح الوطن بصمودها المتعنت وعزمها القوي على النصر، فهي القاعدة الخلفية المآزر لأخيها المجاهد.

وقد سطرنا في هذه الورقة البحثية المتواضعة على منهجين، الأول التاريخي الوصفي لشرح وسرد المادة العلمية مع تدوين الأحداث التاريخية والعسكرية. واعتمدنا على المنهج التحليلي لتفسير الأحداث واستقراءها، وصولا إلى إتباع المنهج المقارن لاستخراج الحقائق ومقارنتها بين مختلف الوثائق المتحصل عليها.

أولا: التحاق المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية وكيفية اتصالها بالمجاهدين

ركبت المرأة الجزائرية طواعية منذ فجر الاحتلال أمواج الكفاح المسلح بغرض تفجير الثورة التحريرية، بإقدام وصبر، رافعة على هامتها راية ترفرف صارخة لا للاحتلال الفرنسي، وييدها أسلحة تناغمت أناملها ضد الاستعمار

الفرنسي وسجل لها التاريخ بطولات كانت فيها مثالا للشجاعة والتضحية، إما النصر أو الشهادة ضد قوات مدعمة بالحلف الأطلسي.

خيارها الشجاعة والإيمان فلم ترحزها الخطوب ولا المحن على مدار سنوات الكفاح المسلح من عمر الثورة المجيدة عبر طول مدة السبع سنوات والنصف، دون كلل أو ملل، فكانت هي الشحنة والذخيرة والتفيس المتجدد المدعم لأخيها الرجل في مختلف الفجاج والمدن، آثرت وتكبّدت الزج في السجون والمعتقلات، تاركة بصماتها ورفات أرواحها في سجل الشهداء.

فكانت الشهادة كالظل ملازمة لها ومرسومة على جبينها، وفي احتكاك متواصل معها، متطلعة للعيش في كنف مستقبل واعد متحرر لها ولبني جلدتها، ولنساء العالم، ناهلين منها أعظم دروس للبطولة لا يمحوها الزمن.

وتجلت مقاومة المرأة داخل عمران المدن بالسهولة نظرا لسهولة وحرية حركتها في الأوساط الأوروبية بتقمصها ومحاكاتها لطبايعهم خدمة للثورة، وذوبانها من حيث المظهر والشكل في الحياة، هدفها القيام بالعمليات الفدائية في مختلف دور الاحتلال ونقاط تواجده، بغرض نشر هاجس الرعب في أوساطه، وتدرجت عبر مسار الثورة وارتقت بنضجها إلى توليها مهام متعددة كربط مختلف الاتصالات بين مختلف الخلايا والمناطق.

إن الإيمان بالثورة جاء من خلال جيش التحرير الوطني وهو ثوري وهذا يعني أنه يضم أغلبية ساحقة من الشبان الذين يدفعهم الإيمان وتربطهم أواصر الأخوة وهؤلاء الشبان لا تتجاوز أعمارهم خمس وعشرون سنة حملوا على عاتقهم أعباء الثورة، واسم جبهة التحرير الوطني، ليخرج منهم الضباط والقادة العسكريين، والمسؤولين من مئات المواطنين المجاهدين، ونلمس هذا الإيمان بالثورة في ما قاله أحد المجاهدين: (هل يحسب المستعمرون أن أولئك الذين صعدوا إلى الجبال سوف يتزلون منها دون أن يحصلوا على الاستقلال. ولوفرنا أنه لم يبق بالجزائر إلا امرأة عمياء فإنها لن تتردد في حمل السلاح والكفاح من أجل وطنها ولوفرنا أن هذه

المرأة بدورها قد سقطت شهيدة الواجب فان الجزائر التي أريد وطنها وأحرقت غاباتها سوف تنور حجارها على المستعمر الطاغية).ⁱ

هذا وقد يعتبر الجهاد والإيمان بالقضية من الأسباب الرئيسة التي جعلت الشعب الجزائري يلتف متشبثا بالثوار ويناصر الثورة ويساندها بعقيدة لا تززعها أية قوة حتى النصر، ومن مميزات الثورة الجزائرية أنها شعبية شارك فيها الرجل والمرأة، الشاب والشابة، فإذا كان الرجل يتصف بالقوة والشجاعة فهذا لا يعني أنه خاض لوحده الثورة التحريرية، بل كانت المرأة دوماً إلى جانبهⁱⁱ حيث قاسمت الرجل المجاهد كل أعماله، وأتعبه ومشاقه المدنية والعسكرية والسياسيةⁱⁱⁱ والسبابة إلى العمل والجهاد والتضحية والاستشهاد معه،^{iv} وكانت مشاركتها متميزة في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية من أجل تحرير بلدها من براثن الاستعمار الفرنسي واسترجاع السيادة المسلوبة.^v

ومن الدوافع التي عجّلت بالمواطنين من الانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني هـ واكتشاف العد ولأعمالهن السياسية والفدائية، والثورات اللاتي كن محل نشرة بحث من البوليس الفرنسي (المطلوبات لدى القضاء والإدارة الاستعمارية)، النسوة اللاتي كن يعلمن في سرية تامة مع جبهة وجيش التحرير الوطني (FLN) و (ALN)، وكشفت المخابرات انضمامهن للثورة أ وبوشاية من الخونة، وأما الطالبات فأتاحت لهن الفرصة والالتحاق بجيش التحرير الوطني بعد الإضراب الذي شنه الطلبة في 19 ماي 1956، ومنهن من حملن السلاح فداء لأرواح إخوانهن وذويهن، فالتحقن بالثوار بعد أن أحرق العد وقرهن وعذب أهاليهن.^{vi}

ومن الجزائريات المسبلات والفدائيات ممن قتل ذويهن، من كن يعانين الفقر المدقع، والحاجة الملحة إلى لقمة العيش في ظل القوانين الاستعمارية الجائرة، لم يجدن مخرجاً ولا بداً إلا بالتوجه نح وكرامة الجبال والانخراط في صفوف الثورة، وما أكثرهن ما كن يعانين من هذا الوضع المزري^{vii} طيلة عهود الاحتلال الفرنسي بالجزائر فقد سدت أمامها كل السبل، وكانت تحيى حياة قاسية وتعيش في حالة

مزرية جدا، كما فرضت عليها عادات وتقاليد بعيدة كل البعد عن تعاليم الشرع الإسلامي وعن الرقي والحضارة،^{viii} بل سعت فرنسا في سياستها إلى قتل وعزل وإبعاد المرأة الجزائرية عن قضايا المجتمع وعدم إشراكها فيه وحرمانها من أدنى شروط الحياة حتى الطبيعية منها.^{ix} وكان المنزل بمثابة السجن لها، كما فرض عليها حصار اجتماعي خانق، خشية وقوعها في الخطيئة وجلب العار، وبالرغم من ذلك وقفت المرأة الجزائرية إلى جانب الرجل في مواجهة محنة الاستعمار الفرنسي.^x

ومن هذا ندرك أن الأوضاع الصعبة والظروف غير الملائمة التي عاشتها المرأة الجزائرية هي التي أدت بها إلى الانخراط في الثورة، وتألفت فيها ومارست أعمالا شتى داخل جيش التحرير الوطني بقدر من الأهمية والفائدة، وبذلك تغيرت الذهنية الكلاسيكية، لترتقي المرأة بمنجزاتها الثورية إلى مصاف الريادة مع أخيها الرجل، وهذا ما ثمن دورها بفعالية وتبوأ مكانتها بجدارة واستحقاق في المقررات التي نجمت عن مؤتمر الصومام يوم 20 أوت 1956 إذ جاء فيه^{xi}: (إننا لنحي بإعجاب وتقدير ذلك المثل الذي نضرب به في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء والزوجات والأمهات ذلك المثل الذي تضرب به جميع المجاهدات اللاتي يشاركن بنشاط كبير بالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس في سبيل تحرير الوطن).^{xii}

لقد تمت طريقة الانضمام وتمت عن طريق خيط الاتصال بالجيش أو جبهة التحرير الوطني، بعد التأكد من رغبتها وإصرارها توافق عليها القيادة الثورية، وتدمج وتلتحم بصفوف المجاهدين، وهذه الاتصالات القائمة بينهما تتم في سرية عالية وشديدة، يتكفل بها أحد المجاهدين، ثم يرافقها أحد المسبلين إلى المسؤول عن الاتصالات الخاصة بمركز المجاهدين للنظر في شأنها ليتم تدريبها وتعليمها، وفي أغلب الأحيان تبعث الفتيات إلى التدريب والتكوين قبل انضمامهم في الجيش، فيتم توجيهن نح والقواعد الخلفية الموجودة على الحدود المغربية أ والتونسية، ويتم تلقينهن تدريبات ميدانية في المجال الطبي والعسكري والسياسي، ليمتحن عن قدرة

صبرهن بالبقاء والمكوث لفترة مغلقة طويلة المدى في القواعد الخلفية وبالتالي يتم انتقاء المناضلة الأكفأ المتميزة برباطة الجأش.

وقد استقبل جيش التحرير الوطني المرأة المجاهدة باعتزاز واحترام وهي التي وهبت نفسها في سبيل تحرير الوطن، وهو على يقين تام من أنها سوف تتحمل مسؤولياتها متحدية الصعاب كأخيها الرجل، خاصة ما أقدمت عليه الفتيات في 19 ماي 1956 عندما تخلى عن مقاعد الدراسة، والتحقن بإخوانهن في صفوف جيش التحرير الوطني وهذا يدل على التطبيق والإخلاص لمبادئ ثورة الفاتح من نوفمبر 1954.^{xiii}

منذ سنة 1955 وبالولاية الخامسة عمل المجاهدون على استقطاب بعض النسوة لتكوين خلايا، وفروع خاصة بهن، وذلك وفق شروط معينة للإبقاء على سريان سرية الثورة، فاتصلوا بنساء عرفن بوطنيتهن، وبتزكية مباشرة ممن انظموا إلى الثورة في وقت سابق، وبعد التحاقها وانضمامها إلى الثورة أوكلت لها القيادة الثورية مهمة توعية النساء بالمدن والأرياف، وفي مختلف الأماكن في دور الاستحمام والأعراس خاصة من تتوسم فيهن صفة الشجاعة والتضحية في سبيل الوطن.^{xiv}

ثانيا: النشاط النضالي للمرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية:

لم تكتمل معادلة التحرر وميلاد الاستقلال بتقدم الرجل ساحات الكفاح، إلا بعدما تكاثفت المرأة جنبا إلى جنب معه لتترجح كفة ميزان القوة الضاربة في وجه العد والفرنسي وتوجهه في الصميم مفندة الفكرة الاستعمارية أن المرأة ضعيفة ومكانها البيت، إيماناً راسخاً منها أنه لا حياة دون حرية في وطن مستعمر، فهرولت إلى ميدان المعارك بكل فخر وتضحية، تزامنا ونضجها ووعيها السياسي والنضالي، ترجمها العمل الثوري، وتأكدت لها فكرة أن ما سلب بالقوة لا بد أن تخضبه الأيدي بالدم ويستترع الحق لأصحابه بالقوة، هكذا صعدت المرأة جنبا إلى جنب الرجل إلى معاقل الثورة بالجلال.

شاركت المرأة في الكفاح المسلح ضد قوات العدو بشجاعة لا ترححها الشدائد والصعاب، فتجندت في المدن والجبال، وزج بها في السجون والمعتقلات، وكانت حاضرة وبقوة في مختلف التظاهرات والمسيرات والإضرابات، وفي الطليعة وفي احتكاك متواصل مع الموت، فخطت بأناملها المهففة أحرف الحرية والتحرر لتحذ وخطاها نسيوة من العالم التواقات للتحرر.^{xv}

فكانت مقاومة المرأة بها مباشرة بسبب احتكاكها وسهولة تنقلها في عمران الأوروبيين، فتولت منذ فجر الثورة ربط الاتصالات وإيواء المجاهدين والمشاركة في العمليات العسكرية^{xvi}، وتباينت مشاركة المرأة خلال الثورة التحريرية بين العمل الميداني كالاحتكاك والتلاحم المباشر ندا لند مع العدو، وإلى النضال منذ تفجير الثورة المجيدة تحت لواء جبهة وجيش التحرير الوطني بالتزام واندماج مع الذوبان في دوامتها بوحي وتعبئة وطنية جارفة مكسرة لشرنقة العزلة الاستعمارية المفروضة عليها، فأبت إلا أن تكون الصخرة التي تتحطم عند عتبها سفن وأطماع فرنسا، وقلعة الصمود ومقل الرجال تذكي جذوة المقاومة في وجدان وشعور الأبناء والأحفاد بالذود عن بطولاتها والرجال في شكل حكايا وقصص ترويحها بحب وشغف وتثني من خلالها أفعالها بمعية الرجال عبر معارك الغلبة التي كانت حليفهما، تحصن بها الدفاع عن الكرامة والهوية الوطنية لأصالة النشء، وتخدم مع التاريخ خدمة للثورة في مختلف المستويات لسقي الفسيلة بدم الوطنية ودفع النفوس دون تأخير في المشاركة الفعلية فيها بكل جرأة وصمود.

1. مهام المرأة في الريف:

تعددت مهامها وتشعبت حسب الظروف ومكان تواجدها من إقامة ثابتة أو ترحال من 'الريف' البادية إلى 'المدينة' الحضر، وذابت وانصهرت في الثورة قلبا وقالبا، بنفسيتها ووجدانها، إذ قامت بضيافة الثوار واستقبالهم برحابة الصدر، وتزويدهم بالمؤونة، والملابس، ومدادواتهم عند اللزوم، وتكفلت بربط مختلف الاتصالات مع الخلايا ونقل البريد، والمسبلين، وتوفير المأوى لهم، مع تقصي وجمع

مختلف المعلومات عن العد ومعاونيه، وجمع الاشتراكات، وقيامها بجهة مسوغاتهن من حلي لفائدة الثورة ، وتعدى دورها لتكون الراصد والدليل للشوار الغرباء عن المنطقة، بفتح الطريق للمجاهدين وتعريفهم بالمنطقة، وبالغابات.

وعن ذلك يقول المجاهد 'محمد بن يحيى' من المنطقة الثالثة: (...إن الثورة استدرجت كل شرائح المجتمع في القرى التي كانت مشاركة النساء كبيرة، كانت المسبلات مجندات ليلا ونهارا، تطبخن أكل المجاهدين، وتغسلن ثيابهن، وتخبئن مئونتهم ووثائقهم، وجراء ذلك استشهد الكثير منهم وسجن بعضهم وعذب، كان هؤلاء النسوة يؤدين مهامهن الشاقة بسكوت ووقار، ما كانت المسبلات ترفعن أصواتهن قط، وما كن ليشتكين إطلاقا حتى ول وكن منهنمكات، وفي غضون 'عملية جومال' (Opération Jumelles) كانت النسوة تستخفن بالموت رغم الأسلاك الشائكة حول المحتشدات المحروسة ليلا ونهارا ورغم المراقبة والدوريات ورغم الحدود التي لا يتم اجتيازها إلا تحت طائلة الموت ورغم منع التحول ووضعته تحت طائلة القتل بلا إنذار، فعند هبوط الليل كانت النساء تتسللن عبر الأسلاك الشائكة وتمون باقتطاع جزء من مواردهن القليلة ..^{xvii}

2. مهام المرأة في المدينة:

خطت نفس درب أختها من الريف، وتلاءمت وتحورت في فكرها وفي مظهرها الخارجي لتقمص ومحاكاة الأوروبيات في الزينة وحركات المعاملة خدمة للثورة وكان مظهرها على طريقة الأوروبيات في الأحياء وأماكن تواجدهم بغرض تنفيذ العمليات التي يحبكها جيش التحرير الوطني، وما ارتداؤها للباس التقليدي الحايك " الملحفة" إلا محافظة منها على أصالتها ورونقها الجميل باعتباره الموروث الحضاري عبر الأجيال، ومنه كان مطية للتمويه على حمل الأسلحة والتنكر يتوارى فيه المجاهدون لتضليل العدو.

إن المرأة الجزائرية في المدينة لا ترتدي الزي العسكري حتى لا تثير الشبهة والأنظار، بل على طبيعتها بزي مدني، فكانت منها الفدائيات المثقفات المتعلمات المتميزات بالذكاء والجمال، المتقنات للغة المستعمر بغرض التعامل معه، هدفهن العمل بسرية عالية لتدمير أوكار تواجدته في الشوارع، المقاهي، الحانات خاصة في أوقات الأعياد، وراحة نهاية الأسبوع بزرع القنابل وحملهن في الحقائب، وغالبا ما كانت الفدائيات تقمن بتنفيذ مهامهن في وضوح النهار دون أن يشعر بهن أحد، ومن هن من كن يساهمن في صنع المتفجرات بأنفسهن، ويمكنن أياما عديدة داخل المخابئ المشيدة كسراديبي في بطون الديار.^{xviii}

أضف إلى وجود المرأة المسبلة التي تعددت أدوارها من الاستعلام الاستخبار، الترصد والاستطلاع، عن جنود الجيش الفرنسي، وتحركاته، وحراسة المجاهدين، وإخفاء الأسلحة التي تنفذ بها العمليات، مع مرافقة الفدائيين إلى المأوى والأماكن الآمنة.

لقد ترجمت المرأة مشاركتها في أشكال مختلفة مع أخيها الرجل، حيث كان له الهدف الأسمى بتكسييرها كل الأعراف والتقاليد في جميع الأماكن بالأحياء والغابات خدمة لتحقيق الاستقلال، فلا يمكن فصل دور المرأة عن دور الرجل لتحرير الوطن^{xix} وتوالت أدوارها من جندي وممرضة ومسؤولة عن التموين والسلاح ومسؤولة عن الاتصالات السرية في جميع جبال الولايات الست، زيادة على دورها المعروف في المدينة كفدائية ومسبلة، ومنهن أيضا المجندات الغير المتعلمات ومعظمهن من سكان البادية، وقد لعبن دورا هاما في إعداد الطعام والشراب للمجاهدين في الجبال عندما يقصدون الناحية للقيام بمهام عسكرية مختلفة، إضافة إلى القيام بغسل ثيابهم والسهر على تربية أبناء الشهداء واليتامى وحفظ الأسلحة والمواد الغذائية.^{xx}

ومن مواقف المرأة الريفية أيضا تلك الفتيات التي تبرعن بكل مهرهن وأجهزتهن إلى الثورة^{xxi} وهنا تجدر الإشارة أن المرأة المدنية تلقت صعوبات كبيرة في الخروج

من البيت والتنقل عكس المرأة الريفية التي تستطيع الخروج وذلك يعود لقلة المراقبة العسكرية المستمرة وكثرتها في المدن.^{xxii}

وللانتقام منها قام الاستعمار الفرنسي بإلقاء القبض عليها بكل الطرق، وه ويشعر بانتصار كبير يسجله كلما وقعت واحدة منهن بين يديه مستعملا معها أبشع أساليب التعذيب، وقد بذل الجلادون قصارى جهدهم لتشويه جسمها وانتهاك عرضها وحرمتها وتجريدها من كل الصفات الإنسانية رغبته في ذلك اكتشاف أسرار الثورة ومحاولة إخضاعها وإجبارها على الخيانة منتهجا في ذلك تعذيبا نفسيا وجسديا.^{xxiii}

ثالثا: مساهمة المرأة في منطقة الجنوب الجزائري في ثورة التحرير الجزائرية:

إن كفاح المرأة الجزائرية ونضالها لم يقتصر على منطقة الشمال (التل الجزائري) أو منطقة معينة بل غطت وشملت كل ولايات الوطن ومناطقه ونواحيه التاريخية، بل وكل شبر من أرض الجزائر، وكبقية مدن الجزائر كانت المرأة التواتية (توات-أدرار-تابعة للمنطقة الثامنة من الولاية الخامسة إلى غاية سنة 1957) والمرأة التواتية شاركت في الثورة التحريرية ضمن مشاركة فعالة بكل طاقاتها في خدمة الثورة على مختلف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعية وتحملت الصعاب في كل مكان كمحاربة ومسبلة وسجينة معتقلة، أو ممرضة تسهر على راحة الجرحى والمصابين، تعدد مهامها وأدوارها الإنسانية فكانت تطهو الطعام للمجاهد يأكل في بيتها أو يحمل معه مؤونته على ظهره يقتات منها بعد الحين والآخر من الأنواع الغير قابلة للتغفن مثل 'المعكزة' أو 'الطمينة' المصنوعة من دقيق القمح والسمن والتمر وهي أكلة دسمة تحتوي على مقويات هامة وتستغل لوقت طويل جدا.

ارتبطت مشاركة المرأة التواتية في الثورة التحريرية بخصوصية المنطقة وبخصوصية المجتمع النسوي في حد ذاته، وفيما يتعلق بخصوصية المنطقة فقد كانت توات أرض مكشوفة منبسطة للغير عكس المناطق الأخرى التي كانت الغابات والجبال والهضاب والسهول مكانا للتخفي بعد تنفيذ الهجمات على منشآت ومقرات

الاستعمار الفرنسي، أما عن خصوصية المجتمع النسوي التواتي فقد كان مغلق على نفسه يرفض الاحتكاك والاختلاط بالأجنبي عنه، وكانت مرتبطة بالعادات والتقاليد والدين الذي كان يرفض قيامها بأعمال غير المنوطة بها، ومن هذا المنطلق انضمت المرأة إلى الثورة التحريرية بصفة تلقائية وذلك بحكم التحاق رب البيت بالنضال وقد شاركت كمسبلة فقط وذلك نظرا لطبيعة المناطق الصحراوية ذات الطابع المكشوف وكذا الحالة المعيشية لسكان المنطقة، فانحصرت مساهمة المرأة في تقديم العون للمجاهدين حيث كان التموين نشاطا استراتيجيا لوجيستيا خلال الثورة، فهو الركيزة التي اعتمدت عليها جبهة التحرير الوطني لمواصلة العمل العسكري، إذ لا يمكن أن يستمر العمل المسلح دون توفر اللباس والغذاء والسلاح والدواء، لذلك أعطيت عناية كبيرة للتموين من قبل قادة الثورة وحاولوا جمع الأموال اللازمة له، ويتم إطعام المجاهدين في الليل لدى سكان الأرياف وتحملت المرأة الريفية العبء الكبير في هذا المجال.

فكانت المرأة التواتية تقوم بصناعة القرب وأحذية الصوف لمتنع رؤية أثار أقدام المجاهدين ونسج الجلابيب وتقديم المنتجات المحلية كالتمر واللبن، وبعد أن وصل عدد المجاهدين الى ما يزيد عن 2000 مجند، وهذا العدد كله يحتاج إلى أثاث نوم وأماكن للاختفاء ومؤونة للتغذية وغسيل وخياطة وملابس وجلابيب، وكل هذا كانت توفره النساء التواتية، كما كانت النساء يقمن بجمع الاشتراكات لجيش التحرير.

وبعد أن أدخل الفرنسيين النظام الصحي الخاص بهم إلى توات كانت امرأة بلالية أول من تعلم منهم ثم بدأت تشرح لبقية النسوة طرق العلاج الفرنسية بالبيت وذه شهادة المجاهدة مولاي فاطنة التي تقول فيها: (أما عملت في مراكز الثورة وكنّ يأخذن على عاتقهنّ مسؤولية مداواة الجرحى من المجاهدين الذين يأتون إليهم ومن بين الممرضات اللواتي عملنّ معها خيرة بنت حماني وفاطنة بنت قدة وجمعة بنت مقيمي).

ومن بين أهم الأدوار التي قامت بهن المرأة التواتية هو العمل على إخفاء سلاح الفدائيين بعد انجاز عملياتهم ومرافقتهم إلى مكان أمين متحدية حراسة العدو الفرنسي، وتحمل العتاد والوثائق المتضمنة أسرار الثورة وتسلمها إلى المسؤولين المعنيين بها، وتقوم بشراء الأدوية واللوازم التي يحتاجها المجاهدون.^{xxiv} وعليه تجدر الإشارة هنا إلى الدور التي كانت تقوم به المرأة الطوارقية أثناء ثورة أول نوفمبر 1954 في منطقة التاسيلي-ناجر وأقدم بعض النماذج من شيهرات النساء اللواتي ساهمن في مساندة الثورة وبرزن في الأعمال، والمشهد يتضمن امرأة طوارقية بلباسها التقليدي من قبيلة إيفوغاس التي كانت تنتشر في الجنوب الشرقي الجزائري.

المرأة الجهادية منهن على سبيل المثال لا الحصر 'فناته ناصر' المولودة سنة 1935 م في إيليزي والتي شاركت بصفقتها عضو دائم من سنة 1960-1962 فقد تعرضت إلى عدة مضايقات من قبل الضابط الفرنسي (لاشو)، نظرا لدورها في إمداد المجاهدين والحفاظ على مصالحهم في منطقة الحدود الجزائرية الليبية، 'وتنا لخير كولو' المولودة 1924 في إيليزي التي كانت تعمل مسبلة من يناير 1961 إلى غاية 1962 كانت لها دورا هاما إيواء المجاهدين يضاف إلى ذلك 'أميناته السنوسي' المولودة خلال 1938 في إيليزي كانت لها دورا هاما في جمع التبرعات من النساء الليبيات من حلى وأموال وملابس في الفترة ما بين 1956 إلى غاية 1962 . كما لا ننسى الدور التي قامت به المرحومة 'داهة خميس' المولودة خلال 1870 في إيليزي في مساندة الثورة التحريرية فقد شجعت أبناءها في الانخراط في العمل الثوري ليصبحوا فيما بعد جنودا ومسبلين، وهناك الكثيرات الطوارقيات اللواتي قدمن خدمات هامة للمجاهدين ولصلح العمل المسلح من تمرير السلاح إلى جمع الأموال وحفظ وصون تفاصيل العمل السري والتوعية بين أوساط النساء وهذا، نظرا لمكانة المرأة في المجتمع الطوارقي الذي كان من أهم

رائداته 'سمامي وانكري' المولودة خلال سنة 1934 في إيليزي، 'وزينب وانكري' المولودة خلال 1938 في إيليزي. فقد وقفن أمام التغلغل الفرنسي في المنطقة وساعدن الثوار في الإعلام والتصدي للحملات الإعلامية الاستعمارية والتجسس، وعلى إثر ذلك كسبت قيادة الصحراء الرهان لصالح الثورة الجزائرية بفضل هؤلاء المجاهدات اللاتي كن منهن 'وانكري باشو' المولودة خلال 1945 في إيليزي، و'رمضاني يمينة' المولودة سنة 1922 في إيليزي، يضاف إلى ذلك 'خماية فاطمة' المولودة خلال سنة 1940 في إيليزي، و'الزهرة معطا الله' المولودة خلال 1935 في متليلي، وكانت هناك من الطوارقيات اللمعات اللواتي خضن الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي دفاعا على وطنها ودينها أمثال 'حنانة بوغراري' المولودة خلال 1934 في إيليزي، والمجاهدة 'أميناته سنوسي' المولودة خلال 1938 في إيليزي، و'زينك فاطمة' المولودة خلال 1936 في إيليزي، و'مسعودة بن سباق' المولودة خلال 1938 في إيليزي.

كما لعبت المرأة الطوارقية 'فاطمة حنيش' والتي ولدت خلال 1923 هذه في غدامس زوجة المجاهد المرحوم قدور بجبح بن عبد القادر روابح، دورا هاما في المساندة حيث جاهدت بالغالي والنفيس في سبيل استقلال الجزائر وكانت لها مكانة هامة، هذه المرأة قد عملت كل الأعمال من أجل نصرة الثورة الجزائرية فكانت مسبلة وحافظة أسرار تحركات الثوار في نقل وتمير الأسلحة وجمع التبرعات، وإعداد الطعام والإيواء. فقد كانت تنشط أثناء الثورة في مدينة غدامس بحيث كان منزلها منذ 1956 مركزا ومأوى لأعضاء جيش التحرير الوطني، وبستانها كان مخبئا للسلاح والتموين لإمداد المجاهدين ومرت على تلك المنطقة معظم الأسلحة الموجهة إلى الداخل عبر الحدود الجزائرية الجنوبية الشرقية القادمة من الأراضي الليبية والمصرية، منذ سنة 1949 أثناء فترة التحضير للثورة. ومن هذا التاريخ إلى

غاية 1962 احتلت المجاهدة 'فاطمة حنيش' مكانة من بين المجاهدات القلائل اللواتي تحملن وتجندن من أجل القضية الجزائرية. كما لا ننسى مكانة المرأة الطوارقية من خلال زهرة التاسيلي ناجر. هذه الزهرة كانت زوجة (لاشو) مجاهدة لأنها استطاعت أن تدافع عن بني جلدتها من الطوارق، بحيث جعلت من الضابط الفرنسي (لاشو) رجلا رحيمًا وحولته من رجل عسكري قاس إلى رجل إنساني يتعاطف مع قضية عادلة. وبفضل شخصية ومكانة هذه الزهرة الطوارقية التي لا تختلف في معاناتها مع الاستعمار عن الجميلات الثلاثة جميلة بوباشة، وجميلة بوعزة، وجميلة بوحيرد التي تزوجت المحامي القدير السيد فرجاس الذي كان يدافع عن القضايا العادلة. إذن زهرة تاسيلي امرأة عظيمة ذات مكانة مرموقة فاستطاعت بفضل شخصيتها ومكانتها أن تحول ذلك الرجل العسكري الجلف القاسي أكثر من قسوة طبيعة تاسيلي ناجر. فكان يتستر على القوافل التجارية وحتى الذخيرة من السلاح كان يهديها للمجاهدين أحوال أبناءه الثمانية. كما كان يتستر عن اللوشايات التي تصله بخصوص بعض العناصر التي تتعاطف مع الثورة، وهذا حتى لا يثر ويغضب زهرة.^{xxv}

أما نشاط المرأة في منطقة الزيبان لم يختلف عن المناطق الأخرى من الوطن فمثلا في منطقة القنطرة وهي منطقة محورية تربط بين الشمال والجنوب ولتدمير التنظيم الثوري بها قامت فرنسا بقوة لإحباط العمليات العسكرية، فاضطر رجال منطقة القنطرة إلى صعود الجبل ومنهم من اعتقلتهم وسجنتهم وبحوالي سنة 1959 لم يبق التنظيم المدني بها، هنا بدأ عمل المرأة بقوة فالنساء القنطريات شكلن خلايا، وبدأن يعملن بنفس أعمال الرجال من جمع التبرعات، جمع المؤن، وإيصالها لمراكز الجيش لغاية الاستقلال من بيتهن المجاهدة 'الخامسة حشايشي' و'حفيظي هجيرة'.

ويؤكد المجاهد أحمد مرازقة المولود في 1937 بالقنطرة أن النساء كانوا مفرقين على كامل تراب القرية (الفراق-الدشرة- برج العولة-بور عباس-لبلالة) ويصرح

قائلاً: كانت الخامسة حشايشي هي القائمة بالمركز في الدشرة الحمراء وهي المنسقة بين النساء في القرية، فكنّ يقمن بكل الأعمال من جمع المال وجمع المؤونة، وجمع اللباس، جمع الخرتوش، ويقدم للأشخاص المكلفين بالتخزين وبدورهم يسلمونها للمجاهدين.

ويضيف السيد 'محمد بوكرش' ابن الشهيد 'علي بن عمر' أن البنت القنطرية كانت تقوم بتحرير الرسائل ويعود الفضل في ذلك إلى التعليم الذي تلقته في مدرسة الهدى وكان من بينهن 'عبد الباقي' و'سلطاني' حررت الرسائل وكن يقرآن ما يرسله المجاهدون، واهم دور قامت به المرأة القنطرية هي الخياطة منهم 'يمينة قرين' حيث كانت تخطط لباس الجيش، وسعدية وزوجة الشيخ لامين فممن من يمتلكن آلات الخياط، ومنهم من تخطط باليد فكان هنالك تنافس بين الفتيات بالإضافة إلى طرز العلم الوطني، والقمصان والقفازات حيث يأتي قوافل من الرجال المجاهدين من الجلفة فيمكثون في القنطرة (يتوضأون، يستحمون، يأكلون، يعالجون...)، ثم يرتحلون نحو الشرق والعكس من الشرق إلى تونس، فقامت المرأة بكل مسؤولياتها كاملة.

وهاهي المجاهدة 'فطيمة بلحمر' تصرح عن الدور الذي قامت به فتقول: (كان يأتيني المجاهدون فأقوم وأحضر لهم الشاي، القهوة، وأطهي لهم الطعام، وأخطط لهم القشاشيب).

أما فيما يتعلق بالمهام الطبية فقد اقتصر نشاط المرأة على معالجة بعض المجاهدين الجرحى والمصابين فقط، ولم يكن هنالك تخصص أو خبرة لديهم، حيث يذكر 'أحمد مرازقة' أن سي الحواس لم يقبل أن تنخرط المرأة في سلك التمريض وذلك لسبب واحد وهو بعد المسافة بين مركز وآخر، فليس بمقدورها التنقل بسبب الطبيعة الصحراوية القاسية بالولاية السادسة، فكانت النساء ترسلن إلى جيش التحرير الوطني بتونس، وهنالك تتولى مهمة التمريض أو كاتبة أو تمل دراستها.

ومن نساء قرية القنطرة اللواتي كنّ رمزا للبطولة ومثالا للتضحية حيث فدين البلاد بكل ما يملكن ووهبن بيوتهن كمراكز، ومن بينهن 'فاطمة الزهراء شلي'.^{xxvi}

كما شاركت المرأة في منطقة سيدي خالد ببسكرة بالزيان إلى جانب أخيها المجاهد في الثورة وبشتى الأعمال ومنها: طبخ الطعام، أو طهي الرخساس، ويطحن القمح وكان هذا في سرية تامة وفي عدم حضور النساء والأطفال في العائلة حتى لا يعرفن لمن ستأخذ كل هذه المأكولات.

ومن المهمات العسكرية التي كانت توكل إليهن هي تحبئة السلاح، وجمع الأموال من نساء القرية لإعطائها للجي، فتذكرنا المجاهدة 'سالمة برياص': (أما كانت تقوم بتخبئة سلاح المجاهدين وكانت كلمة السر التي تتواصل مع المجاهدين عند تسليم السلاح هي: هل تشترون الحطب؟ فأجيب بنعم فيدخل المبعوث إلى المنزل وياخذ منه حزمة الحطب المخبيئ فيها السلاح والعدة بأنواعها، فكنت أقوم بوضع الكرتوش والمسدس في قطعة قماش وأرميها في البئر الموجود في حوشنا خوفا من الدوريات اليومية للعدو الفرنسي).

إضافة إلى ذلك ما كانت تقوم به المرأة في سيدي خالد من إسعاف المصابين وجمع المؤونة قبل أهل القرية من السكر والقهوة والطعام. هذا ولم يختلف أدوارها ونشاطاتها في مناطق متفرقة من الزيان ببسكرة على غرار منطقة عين الناقة وزريبة الوادي ففي منطقة عين الناقة قامت بالعديد من الأعمال للوقوف إلى جانب الثوار من تحضير الطعام للمجاهدين، وطحن القمح، وغسل ملابسهم، وإخفاء أسرار المجاهدين ومكان تواجدهم، أما نساء زريبة الوادي فقد ساهمن في تنشيط اللجان الشعبية في أوساط النساء لرفع معنوياتهن وتدفعهن للتبرع والعمل لصالح الثورة، هذا إلى جانب أنهن كنّ يتنقلن بين القرى والمداشر للطبخ والغسيل والخياطة وفي بعض الأحيان لنقل المؤونة، وتبليغ الأخبار في حالات الحصار وتشديد رقابة العدو.^{xxvii}

ولقد أثبتت الأحداث الثورية أن المرأة الأغواطية وكغيرها من نساء الجزائريات من الوطن قامت بجانب أخيها الرجل مناضلة ومسبلة وتعمل كمساعدة لزوجها وأخيها وأولادها بالبيت وخارجه رغم الأعراف التقليدية المحافظة التي تتميز بها المنطقة. إلا أن ذلك لم يمنعها من تأدية دورها لطباخة وغسالة لملابس المجاهدين وحارسة لهم وتقيم الاتصال بين المراكز السرية والملاجئ وكثيرا ما كانت سببا في سلامة المجاهدين من العدو وخاصة عندما كان المجاهدين يبيتون تحت الأرض في البيوت في مخابئ سرية.

كذلك اهتمت بإسعاف الجرحى بعد كل عملية فدائية داخل المدينة ومن بين شهيدات منطقة الأغواط تذكر على سبيل المثال لا الحصر 'براهمي خيرة' (1934-1958)، 'ثبش بختة' (1930-1958)، و'بوشريعة مسعودة' (1941-1961)، وهناك أخريات اللائي سجلن أسماءهن بأحرف من ذهب في تاريخ المنطقة.^{xxviii}

رابعا: موقف الاستعمار الفرنسي من نساء ساكنة الجنوب الجزائري

إن رؤيا الاستعمار وإستراتيجية سياسته الاستعمارية خلصت عندما اصطدم بمقاومة الرجل الثابت على موقفه إما النصر أو الاستشهاد، فتقرب من المرأة لعلها وعسى أن يستقطبها لمعادلته ويكسبها على جانبه تجسيدا لمقولته: (لنعمل على أن تكون النساء معنا وسائر الشعب سوف يتبع)، هدفه إجهاض الثورة والإيقاع بين الجزائريين والجزائريات خاصة بعد مجيء ديغول لسدة الحكم في جوان 1958، وكان لسلاح السفور وتحرير المرأة الجزائرية، فعقد الحاكم العام لمدينة الجزائر 'جاك سوستيل' اجتماعات شعبية سيق إليها جموع الناس بالقوة وتحت طائلة التهديد بالسلاح، فخطب ودعا إلى تحرير المرأة، فأكرهت النسوة إلى خلع الحجاب وحرقه، في حركة تحكم واستخفاف أمام الجماهير، ومن سياسة المستعمر أن يجعل المرأة وسيلة للوصول إلى هدفه بحكم طبيعتها الأنثوية ومدى تأثيرها على الرجل،

فتستعمل كثير من النساء كجواسيس لمعرفة خبايا وأسرار العمليات الثورية.^{xxix} وهي المعادلة المنافية لتوقعات فرنسا إذ خرجت المرأة الجزائرية في اليوم الموالي محتشمة مع نظيراتها بزي يلف جسدها، متحجبة غير سافرة، هي الجذور والأصالة والإيحاء نحوه تمسكت بها المرأة.^{xxx}

اعتقدت الإدارة الاستعمارية معرفتها الوطيدة بالمرأة الجزائرية خاصة ما لاقته من مقاومة وكفاح في دفاعها المستميت عن الجزائر، فحاول المستعمر بكل الطرق والأساليب استمالة المرأة إلى كسب ودها لتأييد تواجده الظالم بأرض الجزائر بسنه لترسانة من القوانين تجبرها على الرضوخ أو استمالتها للدفاع عنه، ومنها:

- سن قانون المرأة الذي يمنع زواج المرأة إلا ببلوغها عمر 15 سنة فما فوق، والمقنن في شهر ماي 1930، للحد من سلطة الرجل على المرأة، في كسب للمرأة أمام الإدارة الاستعمارية، بيد أنها حافظت على تقاليد الأسرية وبناء المجتمع.
- وبعد الحرب عالمية الثانية حاولت الإدارة الاستعمارية تلميع صورتها أمام الواجهة العالمية خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945، وتلاه قانون 20 سبتمبر 1947، المادة 03 منه الذي يمنع حق الانتخاب للمرأة المسلمة.
- كما جاء قانون 1958/02/05 يمنح الحقوق السياسية للمرأة أملا في تحديد المرأة عن الثورة التحريرية.

على ضوء ما سلف تبيان سعت فرنسا بكل الطرق والوسائل لسلخ المرأة عن المجتمع وبث أوربة الثقافة والمعاملة بالنواة الإسلامية إلا أنها لقيت الصد والرفض التام كونها كانت متطعمة من جذورها بالإسلام والعروبة، كيف لا وهي التي رفضت وصرخت بكل قوة في المحافل والتظاهرات (لا للوجود الفرنسي)، ومن رحمها وأحشائها نبع وولد الأبطال، فعند الإحصاء للنسوة اللاتي صعدن الجبل منذ بدايات شرارة الثورة في سنة 1956 عددت بحوالي 400 امرأة جنديّة، وهي التي فارقت نعومة الفراش إلى خشونة الحصار الجزائر حرة مستقلة.

بين الواقع المعاش آثار وخطوات المستعمر المنتهك للتربة والحدود، وما جناه من جراح وآلام وتجارب بأسلحته المخطورة على البشر هي جرائم ضد الإنسانية دون رحمة أ و رقيب دولي منتهكا كل الأعراف والمواثيق، بدءا من قضم تربة إفريقيا من دولة لأخرى إلى فرض السيطرة عليها كلية إلى أن استوطن بالجزائر.

فالمرأة عانت منه الولايات والأميرين أكثر من الرجل، فكلما تؤسر ينكل بها، وتسلب عليها أعنى أنواع التعذيب المهين من اغتصاب، توثيقها بقيود حديدية في اليدين والرجلين، تركها دون كسوة، رجل حاف وجسد طبيعي يترك للعراء، تحت أنظار وبين أيدي جلادي فرنسا.

مما ترك لها آثارا جسيمة وسلبية النفسية منها والجسدية لا تتداوى إلا بنيل ثمة الاستقلال، فالفاجعة أكبر مساس خطير عاهات مستديمة كالبتير للأعضاء الجسمية، ومساس بشرف قسماات الجسم، هي الآثار التي سجلت على صفحات التاريخ لتبين مدى صبر وصمود المرأة في وجه ممارسات الاستعمار الفرنسي.^{xxxi}

كانت المرأة الجزائرية ضحية الاعتداء المفرط من طرف جنود فرنسا على نسوة القرى والمداشر خلال عمليات التمشيط، وبالمدن عند المدامات للبحث عن المجاهدين، فلا يشفي غليلهم سوى نهش لحم حرائر الجزائر، والتكيل هن.^{xxxii} ويبدل قصارى جهده لتشويه أجسادهن وانتهاك أعراضهن، من الحصول على معلومات منهن، وبعد أن يئأس من ذلك يحكم على بعضهن بالإعدام، وبالبعض الآخر بالسجن.^{xxxiii}

تحملت المرأة الجزائرية عامة وبالولاية الخامسة على وجه الخصوص وخاصة في الأرياف ما كان ينجر عن عمليات الانتقام التي كان يقوم بها المستعمر الفرنسي حين يكتشف إيوائها للمجاهدين في بيتها، فيذيقونها أشد أنواع العذاب، وهذا مؤكده أحد المجاهدين المجاهد 'بوسلي الحبيب' من ولاية تيارت يقول: (كنا مطاردين من طرف قوات العد وفي كل مكان، وعندما لا يتمكنون من إيجادنا

ينتقمون منا بطريقة أخرى، وذلك بصب جام غضبهم على أهلينا العزل، بأن يقوموا بحرق الخيام وقتل النساء والأطفال).^{xxxiv}

بعد تعاضم شأن مشاركة المرأة في الثورة التحريرية وتنوع أدوارها، أدى دخولها دائرة الضوء التاريخية، مما أدى بفرنسا إلى إطلاق حملة مسعورة ضد المرأة أين خصصت لها معتقلات خاصة بها، وإذ نجد عبر التاريخ أول معتقل فرنسي والمسمى 'تلفال النسوي'، أنشأته فرنسا لعقيلات المجاهدين الثوار الأوائل الذين فجروا الثورة في منطقة جنوب الأوراس، بغرض منعهم من الاتصال بأزواجهن، وأيضا لتحديد هوية الثوار بالتعرف على زوجاتهم وأبنائهم، فقد تأسس هذا المعتقل من طرف الجيش الفرنسي في شهر أوت 1955 ، وهو عبارة عن ساحة صغيرة مغلقة تحتوي على غرف توضع داخلها نساء المجاهدين مع أطفالهن.^{xxxv}

قد سلط الجيش الفرنسي رقابته على الأهالي بحملات التفتيش المستمرة وحملات الاعتقال والاستجواب والاستنطاق وانتهاج سياسة التخويف والترهيب واستخدم كل الوسائل للحصول على نتائج ايجابية خاصة فيما يخص الفارين بعد معركة 'حاسي صاكة' واللجوء للحرب النفسية، معتمدا على المناشير الدعائية، والتي تتضمن وصف إجرامي للمهاربة، مع استعمال لفظ القصاص الذي نص عليه الدين الإسلامي من أجل كسب عاطفة سكان إقليم توات فخاطبت بهذه المناشير أهالي تميمون وتينركوك بعدم الاستماع لأكاذيب العصاة المتمردين وعليهم بسماع كلمة الحق وصوت الشرف النابع من الأمة الفرنسية التي تمنح الطمأنينة والسعادة لأبناء هذا الوطن.

فقامت باعتقال كل عائلات الثوار والمشتبهين بهم ووصل الأمر بهم إلى الزج بأعراش بكاملها في هذا المعتقل وتروي 'المير فاطمة' أحد المعتقلات بحاسي صلركة: (أن الاعتقال تم من طرف المظليين الفرنسيين وسيقوا قسرا إليه وقرروا قتل من يحاول الفرار منه، واستعانوا بمترجمين لتسهيل التعامل مع السكان).

وتروي من جهتها زوجة الشهيد 'قدور بليتيم' السيدة المجاهدة 'عيشاوي الخادم': (أنها تم تعذيبها وجرحها من رجلها مرارا وتكرارا بعد اتهامها بتموين المجاهدين وكان التعذيب يتم تحت إدارة النقيب صوايه).

ووصلت عقوبة تموين جيش التحرير من طرف الفرنسيين إلى درجة نفي عائلات بأكملها بعد تخويف السكان، ورغم التعذيب والاعتقال إلا أن ذلك لم يضعف عزيمته النساء في المعتقلات والمحتشدات بل بلغ بهم الوعي السياسي والثوري لدرجة كبيرة، حتى أن أخبار وتحركات الثوار كانت تتداولها ويتناقشون فيها.^{xxxvi}

ونفس الأسلوب والطريقة عايشتها المرأة في منطقة القنطرة بيسكرة طوال الفترة الاستعمارية بصفة عامة وخلال الثورة بصفة خاصة من التعذيب والسجن من بينهن، حدة بوشادة، اليامنة فراجي، حفيظي زوليخة أم الثلاث شهداء، والخامسة حفناوي، والخامسة عبداوي، وغيرهن كثيرات.^{xxxvii}

إلى جانب القلق والحرمان الذي كانت تعيشه المرأة في زريبة الوادي مثلا على سبيل المثال لا الحصر نتيجة فراق الأب أو الزوج أو الابن لالتحاقهم بصفوف المجاهدين أو استشهادهم في المعارك أو تحت طائلة التعذيب، فكانت تتعرض هي الأخرى في كثير من الحالات للإذلال والاهانة والسجن والتعذيب وحتى الاستشهاد، مثل ما تعرضت له 'حليمة جوادي، عاشوري تونس، وعلواني ببادس، وعلجية سلاوي، بسة زغودة (مسعودة) بزريبة الوادي، وحفصية موسي بزريبة الحامد.^{xxxviii}

وقد تعرضت المرأة الأغواطية هي الأخرى من الكثير من المضايقات، وخاصة عائلات المجاهدين اللائي سلط عليهن العذاب، وعبث الاستعمار الفرنسي بشرفهن وأنتهكت حرمانهن أثناء الحملات التفتيشية سواء في البادية أو المدينة وبالرغم من هذا الألم والمعاناة لم ينقص كل هذا من عزيمتهن، وظلت المرأة تنشد الأشعار الشعبية لرفع المعنويات.^{xxxix}

الخاتمة:

المرأة الجزائرية بمختلف جذورها الاجتماعية ومشاربها التكوينية، بما فيها المرأة في منطقة الجنوب الكبير شاركت في أحداث البلاد بحب وإرادة، وبإيمان راسخ بكل ما أوتيت من قوة وجهد بصمود وعناد كبيرين في سبيل تحقيق الحرية، ليكتمل واجبها المقدس، وتوضح لديها الرؤيا المستقبلية بكل وعي ومسؤولية أنه لا مناص من الدخول ودعم القضية الوطنية.

فحينما دق عندها ناقوس الوطنية مؤذنا معلنا عن جسامه الخطر الداهم، ومنذرا وداعيا للتححرر، توحدت الجهود والمرام، وتكاثفت مشارب المعالم السياسية، وخلصت إلى هدف وحيد هو اللجوء إلى العمل المسلح لتحرير الوطن من فرنسا الاستعمارية، فتطلعت المرأة الصحراوية شوقا بمختلف مراحلها العمرية، وفي مواقعها الحياتية، وانزوت في الجبهة الوطنية لمسيرة موجة التضحية والبطولة وكان النصر حليفها والجزائر.

فالتاريخ لم يتنكر لدور المرأة الفعالة والإيجابي اتجاه دعمها السخي للثورة التحريرية بدءا من ذودها بروحها وما أنجبت وما أحبت الزوج ومسوغاتها، هي المثال الذي يقتدي به في الإقدام والشجاعة، والسند العطوف المقتدى من رجالات الثورة بالدعم ومجاهمة المخاطر، بتحملها المسؤوليات الجسام ببلاء حسن خدمة للثورة.

فانتفضت المرأة الصحراوية الوطنية وخلعت عن جسدها منذ تفجير الثورة دثار الخوف مكسرة كل القيود والأعراف مرتدية درع حب الوطن مقدامة إلى تكسير قيوده المطوقة لتحرره إيمانها الوحيد استقلال الجزائر.

لقد شخصنا وعرضنا نماذج من مناطق الجنوب الجزائري الشاسع ممن عاهدوا الثورة حتى آخر نفس، ولبوا نداء الوطن في هبة فرد واحد، وقالوا: "لا لفرنسا" ورفض وجوده والعمل على رحيله رغم هول المعاناة مع القهر والتعذيب، لا الدم، ولا الدموع زعزعت من عقيدتهن على أن النصر قريب.

إذن، هكذا سارعت وساهمت المرأة الصحراوية مع باقي زميلاتها بكل حزم وعزم حاملة مع الرجل لواء الجهاد مقدمة نفسها قربانا للحرية وعلى جبينها الراية الوطنية شامخة فلم تتردد أو تتوانى أو تنكسر عزيمتها طيلة عمر الثورة، والمشاركة الفعالة في خدمة الثورة والتلاحم مع المجاهدين في سبيل كرامة شعب أراد الحرية.

تعددت المرأة في الجنوب الجزائري وتشعبت حسب الظروف ومكان تواجدها، وذابت وانصهرت في الثورة قلبا وقالبا، بنفسيتها ووجدانها، إذ قامت بضيافة الثوار واستقبالهم برحابة الصدر، وتزويدهم بالمؤونة، والملابس، ومدادهم عند اللزوم، وتكفلت بربط مختلف الاتصالات مع الخلايا ونقل البريد، والمسلمين، وتوفير المأوى لهم، مع تقصي وجمع مختلف المعلومات عن العدو ومعاونيه، وجمع الاشتراكات، وقيامها بهبة مسوغاتهن من حلي لفائدة الثورة، وتعدى دورها لتكون الراصد والدليل للثوار الغرباء عن المنطقة، بفتح الطريق للمجاهدين، وهذا إلى جانب أنهن كنّ يتنقلن بين القرى والمداشر للطبخ والغسيل والخياطة وفي بعض الأحيان لنقل المؤونة، وتبليغ الأخبار في حالات الحصار وتشديد رقابة على العدو.

ومن المهام الأخرى أضيف إلى وجود المرأة المسبلة التي تعددت أدوارها من الاستعلام الاستخبار، الترصد والاستطلاع، عن جنود الجيش الفرنسي، وتحركاته، وحراسة المجاهدين، وإخفاء الأسلحة التي تنفذ بها العمليات، مع مرافقة الفدائيين إلى المأوى والأماكن الآمنة. وهن اللاتي سارعن إلى طلب التكوين والتدريب على التمريض وإتقان الإسعافات الأولية ومداداة المجاهدين والفدائيين المصابين، تقمن بالمهام التي أسندت إليهن كجمع المؤن، وتقدمت المرأة إلى ساحات الشرف بخطى ثابتة صارخة في وجه الظلم قائلة: "لا بد للقيد أن ينكسر"، هن رجيل آمن بالوطنية والحرية فلم تهزم إرادتهن لا في الأحراش ولا في الوديان بل واصلت تقدمها نحو مشعل النصر والحرية.

لم تتخلف أو تتراجع المرأة الصحراوية المكافحة عن تلبية نداء الواجب نداء الثورة ولا عن ارتداء بزة جيش التحرير الوطني التي رصعت جسدها بها، فكانت

مفخرة جيلها، وبروح تلقائية، ولدت من رحم المعاناة شريحة الشعب الأبي، فسجلت حضورها مثل بقية النساء الجزائريات فانتفضت وتمردت على الظلم التي تعرض له الوطن والمجتمع والدين بمختلف الأشكال والوسائل التي أتاحتها لها بيئتها الصحراوية فأصبحت المرأة الصحراوية مثالا يقتدى بها في الجهاد والنضال والكفاح، وقدوة للأجيال القادمة.

الهوامش (الإحالات)

^١ مصطفى طلاس، بسام العسلي، "الثورة الجزائرية"، طلاس للدراسة والترجمة والنشر، دمشق، 1984، ص 434.

^٢ مجلة أضواء، (دون ذكر المؤلفين)، العدد الأول 1998، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ص 30.

^٣ يحيى بوعزيز، "الثورة في الولاية الثالثة (1954-1962)"، الطبعة الثانية 2010، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ص 208.

^٤ الأخضر بوطمين، "الفداء نظامه ودوره في ثورة التحرير"، مجلة أول نوفمبر، عدد 45، السنة 1980، من إعداد المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص 64.

^٥ أنيسة وعلي، "الشهيدة يامنة الشايب المدعوة زوليلة"، مجلة أول نوفمبر، عدد 172، السنة 2008، من إعداد المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص (56-59).

^٦ أنيسة بركات، "محاضرات ودراسات تاريخية حول الجزائر"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995، ص 101.

^٧ عبد الكريم بوصفصاف، "المرأة الجزائرية قيمة من قيم الثورة الجزائرية"، مجلة القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954-1962)، الجزء الأول، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، أبريل 2003، ص 8.

^٨ بن علي (زهير)، المرأة الجزائرية والمقاومة السلمية للمشروع الاستيطاني الفرنسي، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 1 جانفي 2020، ص (598-606).

^٩ فتيحة بن حميد، تعليم المرأة الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية- عند الشيخ بن باديس نموذجاً-، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 9، العدد 3 ديسمبر 2018، ص (8-29).

- ^x زهير بن علي، المرجع السابق، ص ص(598-606).
- ^{xi} مقتطف من ميثاق مؤتمر الصومام، وحول منهج الصومام في موضوع الحركة النسائية، أنظر: بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري- طبعة خاصة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2010، ص ص(221-222).
- ^{xii} فاطمة حباش، 'إسهامات المرأة الجزائرية في النضال الوطني إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر'، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، العدد الأول، المجلد الثاني، يناير 2019، ص ص(466-478).
- ^{xiii} جاري جويده، "وقفات في الأدوار الريادية للمرأة الريادية إبان الثورة التحريرية"، مجلة القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954-1962) الجزء الأول، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003، ص 113.
- ^{xiv} جازية بكاردة، مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة من خلال الشهادات الحية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11، ص ص(248، 276).
- ^{xv} بلي بلحسن، المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، تر: صاري علي حكمت، دار نالة للطبع ص 11.
- ^{xvi} مجلة أعضاء، (دون ذكر أسماء المؤلفين)، العدد الثالث 2000، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ص 29.، ينظر أيضا:
- ♦ **Mémoria, Moudjahidate Algériennes-Les Pasionarias Du 1^{er} Novembre 1954, Supplément, N 02, Juin 2012, pp (98-100).**
- ^{xvii} فاطمة حباش، المرجع السابق، ص ص(466-478).
- ^{xviii} مختار بونقاب، مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الأول، المجلد الخامس، ص ص(189-195).
- ^{xix} مجلة أعضاء، المرجع السابق، ص 30.
- ^{xx} هند قديد، "دور المرأة أثناء الثورة التحريرية"، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، دراسات وبحوث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1998، ص 125.
- ^{xxi} عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 10.
- ^{xxii} خليفة جنيدي، "حوار حول الثورة"، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، 1986، ص 431.

^{xxiii} عبد اللطيف الحناشي، "الحياة اليومية للمساجين السياسيين التونسيين بالسجون الفرنسية بالجزائر"، سياسة التعذيب الاستعمارية إبان الثورة الجزائرية وتداعياتها المعاصرة، ملتقى وطني، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2006، ص190.

^{xxiv} حالة خديجة، " دور المرأة التواتية في الثورة التحريرية من خلال الشهادات الحية"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد الرابع، العدد الثامن جانفي 2018، صص(102، 112).

^{xxv} إبراهيم العيد بشي، دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11 جوان 2013، صص(31-44).

^{xxvi} آمال لقويح، دور المرأة إبان الثورة التحريرية (1954-1962) الزيان أنموذجا، مذكرة ماستر في تاريخ الوطن العربي المعاصر، تحت إشراف شلي شهرزاد، جامعة محمد خيضر بيسكرة، 2018-2019، صص(57-59)

^{xxvii} نفسه، صص(64-74)

^{xxviii} ابن حازر الله شارف، دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية (1954-1962)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، تحت إشراف يحيوي مسعودة، جامعة الجزائر، 2003-2004، صص(61-62)

^{xxix} خديجة بلخير، "باية حسين المرأة المناضلة بقراءة عمار بلخوجة"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 10، العدد 1، صص(121-133).

^{xxx} ع. بن محمد، دور المرأة الجزائرية في الكفاح المسلح، مجلة الجيش، سنة 1979، صص(108، 111)

^{xxxi} عتيقة حرايرية، المرجع السابق، صص(98، 109).

^{xxxii} بسمينة سعودي، "صور من صمود المرأة الجزائرية بالولاية الثالثة أثناء الثورة التحريرية من خلال مذكرات جودي أنومي"، مجلة آفاق للعلوم، العدد العاشر جانفي 2018، صص(103، 112).

^{xxxiii} عبد الكامل جويبة، "محطات من نضال المرأة في تاريخ الثورة الجزائرية"، مجلة المواقف، المجلد 1، العدد 1، صص(163-170).

^{xxxiv} جازية بكرادة، دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة (1954-1962)، رسالة دكتوراه، تحت إشراف أوعامري مصطفى، 2016/2017، جامعة أب وبكر بلقايد تلمسان، ص 305.

^{xxxv} حالة خديجة، المرجع السابق، صص(102، 112).

^{xxxvi} نفسه، صص(102، 112).

^{xxxvii} آمال لقويح، المرجع السابق، ص 62.

^{xxxviii} نفسه، ص 75.

^{xxxix} ابن حازر الله شارف، المرجع السابق، ص 62.